كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا
على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على
لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحيوة إلا
حياتنا الدنيا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير
وإشعارا بأن تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل
ومعناه لا حيوة إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى
الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت
ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو
ما هو إلا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من
البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد
معنى القلة أو نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب إذا عاينوا العذاب
فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها
قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت
الذي لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق
فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب
سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الإخبار والدعاء
وبعدا مصدر بعد إذا هلك وبعدا من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل
إظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب

وغيرهم ما تسبق من أمة أجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء
بدل من الواو كتولج وتيقور والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو
بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء أمة رسولها كذبوه
أضاف الرسول إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن الإرسال الذي هو
مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الإهلاك
وجعلناهم أحاديث لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث
أو جمع أحدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا
موسى وأخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وإفرادها لأنها أول المعجزات وأمها
تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق
البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما
المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي إلى فرعون وملائه
فاستكبروا عن الإيمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا ثني البشر لأنه يطلق للواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق
للجمع كقوله فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لأنه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تشهد بأن قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء
على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى
تأمل فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها
متباينة الأقدام فيها وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم

Copyright King Saud University